كسب شيئا اكثر من المجد الشخصي لنفسه. لقد كسب شيئا للعرب وحتى للفلسطينيين؛ إذ تغلّب على بيغن في المنافسة الشخصية، واثبت، على الرغم من التحيز الغربي عموما لمصلحة اسرائيل، ان في إمكان زعيم عربي فرد ان يكسب من الشعبية اكثر مما في وسع زعيم اسرائيلي ان يحظى به. وهذا يعني شيئا، وان كان من المسلم به ان الأمر هنا سطحي جدا. إنما، الأهم من ذلك هو: هل ان السياسة التي عرضها السادات تركت شيئا من التأثير؟

الواقع ان خطاب السادات في الكنيست كان عرضا سليما للصلح العادل والشريف كما يفهمه كثيرون من العرب. على هذا الصعيد، يمكن القول انه حدث تبدّل في النظرة الأميركية الى النزاع العربي ــ الاسرائيلي بعدما هز السادات الصورة التي تظهر العرب كأنهم العدو الدائم؛ وهذا ما سجلته استطلاعات الرأي العام. ففي استفتاء اجرته مجلة «نيوزويك» حول السؤال التالي: «اي بلد كان اكثر استعدادا للتسوية»، جاءت الأجوبة مثيرة للدهشة؛ إذ كانت النتيجة ٤٥ لمصلحة مصر في مقابل ٢٦ لاسرائيل. واضافة الى ذلك سجلت مجلة «بوبليك ابينيون» التي تعكس اتجاهات الرأي العام، تراجعا على صعيد التعاطف مع اسرائيل بنسبة ١٣ نقطة عما كان عليه الأمر قبل ستة اشهر. وهذا يعدّ اعنف واسرع هبوط من نوعه في تاريخ النزاع في الشرق الأوسط.

لكن، ما ازعج العرب واقلقهم، ان هذا التغير في النظرة الى المشكلات الأساسية لم يذهب بعيدا بما فيه الكفاية، ولا يمكن لديبلوماسية رجل على التلفزيون ان تحقق ذلك.

لقد قال السادات، يوم زيارته القدس، انه يتوجه إليها وهو يركب صاروخا؛ وما حدث، من بعد، انه لم تمكن السيطرة على هذا الصاروخ، وكان لا مفر من ذلك، علما انه لو تمسّك بالموقف الذي اعلنه في الكنيست لما استطاع ابدا ان يديم ويعزز مجده الشخصي في الغرب، وهو ما كان يشتهيه. فبدلا من ان يتمسّك بما اعلنه، إذا به، في الأخير، يعقد سلامه المنفصل فكان شأن المكاسب التي حققها لنفسه انها جاءت اقل بكثير من حجم الضرر الذي الحقه بالقضية العربية ككل. وبالفعل، قياسا على سمعة العرب في اميركا، يمكن القول ان كل ما كان من أوج السادات الشخصي انه عزز السلفيات القائمة حيال العرب، واقتصر الأمر على الأميركيين الذين لا ينظرون الى ابعد مما هو سطحي ــ اي الأكثرية ــ على ان كل ما حدث في الواقع هو ان السادات صنع سلاما، من دون ان يدققوا بنوعية هذا السلام ومن دون ان يسألوا انفسهم ما إذا كانوا يقبلون لأنفسهم مثل هذا السلام إذا ما ترجم بمنظور اميركي. وفي الواقع انهم بالتأكيد، ما كانوا ليقبلونه لو فعلوا.

وهكذا، اصبح السادات بنظر الأميركيين، ذلك «العربي الطيب»، الذي اظهر ان كل الآخرين، «سيئون» وانه ذلك «المحب للسلام» بخلاف محبي الحرب. وهذه النظرة لم تنطبق على من يسمون بـ«الراديكاليين» وحسب، مثل سوريا وليبيا، بل شملت كذلك من يسمون بـ«المعتدلين» كالأردن والسعودية اللتين اعتبرت معارضتهما لكامب ديفيد عملاً غادرا ونكرانا للجميل، ومعارضة لفكرة السلام نفسها.